الباب السابع

المعلم

وظيفته :

لم تعد وظيفة المعلم اليوم مقصورة على التعليم ، أى توصيل العلم إلى المتعلم ، كما يظن بعض الناس . ولكن وظيفته تعدت هذه الدائرة المحدودة إلى دائرة التربية . فالمعلم مربٍ أولا وقبل كل شيء ، والتعليم بمعناه المحدود جزء من عملية التربية . على أن التعليم بمعناه الحديث قد صار إلى التعلم أى جعل الأطفال يتعلمون Causing children to learn

ونحن ننتظر من المدرسة الحديثة أن تنمى عند الأطفال ذكاءهم ، وتكون أخلاقهم ، وتكسبهم المهارة فى العمل ، وترقى تذوقهم للجمال ، وتصيرهم اجتماعيين . فوظيفة المعلم على هذا هى : تمكين الأطفال من الحصول على المعارف والعادات الصالحة ، والمثل العليا ، وإتقان المهارات ، وتعودهم السلوك الاجتماعى . وبعبارة أخرى : تمكين الأطفال من أن يلائموا بين أنفسهم وبين البيئة التى يعيشون فيها من الناحيتين : المادية والاجتماعية .

وإذا اعتبرنا التربية عملية ملائمة وتوفيق بين الطفل وبين البيئة أدركنا أن وظيفة المعلم — أو المربى — هى مساعدة الطفل على أن يرفق بين نفسه — حاجاته ونموه — وبين البيئة بوضعه فى الوضع المناسب لهذا التوفيق . وكل ما يعمله المعلم ينحصر فى هذه الوظيفة .

وقد عبر أحد المربين[1] عن وظيفة المعلم بقوله : « إن عملية التربية تقوم بين الفرد وعوالمه الثلاث : عالم الطبيعة ، وعالم المجتمع ، وعالم الأخلاق . وموقف المعلم بين الفرد وعوالمه ، والتفاعل مستمر بين الفرد وهذه العوالم . والمعلم يعين ويشرف ، ويوجه ويرشد ، حتى يسهل هذا التفاعل ويوجهه إلى الهدف المنشود » .

---

(١) The Individual and the Environment, by J.E. Adamson, pp. 26-27.

المعلم نائب عن الوالدين وموضع ثقتهما ، لأنهما قد وكلا إليه أمر تربية ابنهما . فهو إذاً يقوم فى المدرسة بوظيفة الوالدين . وهو أيضاً نائب عن المجتمع الذى عهد إليه أن يربى الصغار من أبنائه حتى يصيروا مواطنين صالحين .

ومن هذا يمكن تلخيص وظيفة المعلم فى : أنه يقوم مقام الوالدين والمجتمع فى تربية الطفل ، بتوجيهه وإرشاده فى جميع نواحى تربيته بحيث يتمكن من الملاءمة والتوفيق بين نفسه وبين بيئته .

الخصائص التى يجب أن تتوافر فيه :

يقف المعلم بين الطفل من ناحية وبين بيئته من ناحية أخرى ، ويقوم بوظيفة إقدار الطفل على التوفيق بين نفسه وهذه البيئة . وإذاً فيجب أن تتوافر فى المعلم خصائص جسمية وعقلية وخلقية تتصل بكل من الطفل والبيئة ، وتمكنه من أداء وظيفته خير أداء . وسنعرض هنا لهذه الخصائص .

الخصائص الجسمية : لا يستطيع المعلم القيام بوظيفته كما ينبغى إلا إذا توفرت فيه الخصائص الجسمية الآتية :

١ ــ أن يكون سليم الصحة خالياً من الضعف والأمراض . فالمدرس المريض لا يستطيع القيام بوظيفته كما لو كان سليماً . ولا شك أن المرض يصرفه عن أداء واجبه ، ويفوت على التلاميذ كثيراً من الفرص المفيدة فى حياتهم المدرسية .

٢ ــ أن يكون خالياً من العاهات والعيوب الشائنة ؛ كالصمم والعور ، وحبسة اللسان أو التأتأة ، لأن هذه العاهات من طبيعتها تجعله يقصر فى وظيفته وتعرضه لسخرية التلاميذ ونقدهم . ومن العيوب الشائنة تقوس الساقين ، واحديداب الظهر وتورم ظاهر فى بعض الغدد .

٣ ــ أن يكون فياض النشاط . فالمعلم الكسول يهمل عمله ولا يجد من الحيوية ما يحركه للقيام بواجبه . وقد يكون الكسل عادة ، لا نتيجة لضعف أو مرض ، وقد يكون مصدر الكسل شيئاً نفسيا . وعلى أية حال فالتلميذ هو الذى يعانى نتيجة هذا الكسل .

٤ ــ أن يكون حسن الزى ، نظيفاً منظماً . فالمعلم نموذج لتلاميذه . وإهماله زيه يوحى إليهم بذلك . وقد يجعله موضع سخريتهم وعدم احترامهم له . ويدخل

فى حسن الزى اختيار ألوان الثياب ورباط الرقبة ، ووسائل التجميل عند المعلمات . فالمعلمة فى مدرسة البنات مثال لتلميذاتها . وهن مغرمات بمحاكاتها

الخصائص العقلية :

المعلمون ، سواء منهم من فى المدارس الأولية والرياض ، أو من فى المعاهد العالية — يجب أن يكونوا على نصيب من الذكاء . وعلى هذا فالخصائص العقلية المطلوبة هى :

١ — الذكاء . فالمعلم لا بد أن يصل إلى مستوى خاص فى التحصيل العلمى وهو مستوى لا يمكن بلوغه فى المواد المدرسية المختلفة بدون الذكاء . والمدرس على صلة دائمة بالتلاميذ ومشكلاتهم فلا بد له من التصرف الحكيم والقدرة على حل المشكلات . وأنى يكون له ذلك إذا لم يكن ذكيا ؟

٢ — إلمامه بمادته وبما يجد فيها من نظريات . فضعف المعلم فى مادته يجعله يقصر فى تحصيل التلاميذ لها ، ويعرضهم للخطأ فيها . ثم إن هذا الضعف يزعزع ثقة التلاميذ فيه ، وقد يصرفهم عنه فيسقط فى نظرهم . وأثر ذلك فى نفسه ارتباك وشعور بمركب النقص . ويستحيل فى مثل هذه الحال أن يقوم المعلم بعمله . وخير للمعلم أن يعترف بأنه يجهل ما يفعله من أن يعطى التلاميذ معلومات خاطئة على أنها صحيحة .

٣ — والإلمام بالمادة لا يكفى ما لم يحط المعلم علماً بنفسية التلاميذ وعقليتهم وميولهم واستعداداتهم ومراحل نموهم . فهو — كما قلنا — موجه مرشد . وهو كالطبيب لا يستطيع وصف الدواء ما لم يعرف حقيقة المرض . ومن أجل هذا جعلت مادة علم النفس أساسية فى إعداد المعلم ، وكانت معاهد المعلمين أولى المعاهد التى درست فيها هذه المادة . ومما يدخل فى علم النفس معرفة المعلم بالفروق بين التلاميذ حتى يعامل كلا بحسب عقليته الخاصة به .

٤ — الإلمام بقواعد التدريس المناسبة للتلميذ وللمادة . فليست معرفة المعلم بالمادة ، وبنفسية التلميذ كافية لنجاحه فى مهمته ، ولكن لا بد أن يعرف طريقة التطبيق ؛ ولهذه المعرفة أصول وقواعد تدرس فى معاهد المعلمين ، ويمرن الطلبة بمقتضاها فى المدارس حتى يتعلموا كيفية تطبيقها . وما التمرين فى التربية

العملية إلا إعداد للطالب فى أول حياته لمهنة التدريس، تحت إشراف الأستاذ وتوجيهه

وهنا يعرض سؤال شائع وهو : هل المعلم مطبوع أو مصنوع ؟ والجواب عن عن هذا هو أن المعلم كغيره من ذوى المهن لا بد أن يتوافر فيه عنصران : أولهما فطرى والثانى مكتسب . فالعنصر الفطرى هو استعداده لهذه المهنة وتوافر الميل إليها بالفطرة، والعنصر المكتسب هو إعداده وتمرينه لهذه المهنة . وكلاهما ضرورى والعنصر المكتسب أساسه العنصر الفطرى ؛ فكما لا يمكن أن نخلق مهندسا بارعا ممن لا تتوافر فيه بالفطرة المواهب الضرورية لهذه الفطرة، كذلك لا يمكن أن نتوقع مدرساً قديراً ممن لا يوهب استعداداً لهذه المهنة . ورب استعداد لها ميز صاحبه وقاده إلى النجاح بدون أن يتلقى فى معهد إعداداً مهنيا . ونحن نعرف أن من فقهاء القرية من كان بصيراً بمهنة التدريس موفقاً فيها بالطبع ، كالفنان أو الشاعر المطبوع ينتج إنتاجاً بديعاً بالرغم من عدم معرفته أصول الفن أو موازين الشعر .

٥ــ والخاصة السابقة تشير إلى ضرورة أن يكون على استعداد بالطبع وميل لصناعة التدريس . نعم إن الإعداد يبصر بقواعد هذه الصناعة ، وقد يكشف عن هذا الا ستعداد ، ولكن ما لم يكن لدى المعلم ميل طبيعى وموهبة فلن يكون معلماً من الطراز الأول .

٦ ــ أن يكون كثير الاطلاع ميالا لإنماء معارفه ، وكم من معلم يقف بمعلوماته عند المستوى الذى ترك به معهد المعلمين : فيأخذ هذا المستوى فى الهبوط بالتدريج حتى يصير قريباً من مستوى الطفل . ولا يخفى أن هذا النوع من المعلم محدود المعارف ، ضيق الأفق ، عرضة للخطأ إذا سأله أو ناقشه تلميذ ذكى مطلع والمعارف فى تجدد دائم ، وقد تظهر نظريات وآراء لم يتعلمها المدرس أثناء تلمذته فلا ينبغى أن يكون جاهلا بما يجد متخلفاً عن ركب المعارف .

كذلك يجب أن يكون المعلم على صلة بالجديد من الآراء التربوية والسيكلوجية التى تتصل بمهنته حتى يستفيد منها فى صناعة التعليم .

٧ ــ أن يكون ملماً بعلم الأخلاق[1] والسياسة ؛ ذلك لأن المدرس يخدم

(١) "The teacher must be a student of Politics, Ethics and Education", by Campagnac. Chap. VII.

المجتمع ، ويعد الطفل ليكون عضواً فيه ، ولا يتأتى له هذا الإعداد الكامل السليم إلا إذا عرف نظام المجتمع السياسى ومعاييره الخلقية ، حتى يراعيها فى تكوين الطفل وتربيته .

الخصائص الخلقية :

والمعلم يعامل — فى مهنته — الصغار من البشر . وهو يكونهم خلقيا ، كما يكونهم جسميا وعقليا . وهو المثل الذى يحتذيه الصغار ويتأثرون به . والأخلاق تغرس بطريق غير مباشرة أكثر مما تعلم بطريق التلقين والوعظ . فالمعلم إذاً فى حاجة إلى الصفات الخلقية الطيبة لسببين : أولا ، لأنه مؤثر فعال فى نفوس الأطفال يتأثرون به ، وثانياً ، لأن مهنة التدريس تحتاج إلى صفات خاصة حتى يصير المعلم ناجحاً فيها . ومن هذه الصفات :

١ — العطف واللين مع التلاميذ : فلا يكون قاسياً عليهم فينفرهم ، ويفقد لجوءهم إليه واستفادتهم منه ، والتفافهم الروحى حوله . ولا يكون عطوفاً لدرجة الضعف فيطمعهم فيه ويفقد احترامهم له ، ومحافظتهم على النظام .

One* of the most important of a teacher's qualifications is sypathetic interest and understanding of children. On the other hand sympathy should not be mawkish.

٢ — الصبر والأناة والتحمل : فالأطفال صغار لا يقدرون المسئولية . وهم يحتاجون للسياسة والمعالجة . ولا يجدى فهم المعلم لسيكولوجية الأطفال إلا إذا كان صبوراً فى معاملتهم قوى الأمل فى نجاحه فى مهمته . والقلق أو القنوط فى معاملة الأطفال دلائل الإخفاق . ولذلك نجد النساء أصلح فى تعليم الأطفال من الرجال لما يمتزن به من الصبر والجلد ومن اتصافهن بخصائص الأمومة .

٣ — الحزم والكياسة : فلا يكون ضيق الخلق ، قليل التصرف ، سريع الغضب فيفقد بذلك إشرافه على التلاميذ ويفقد احترامهم له . ولذلك يجب ألا يوجه إلى مهنة التدريس من كان ذا مزاج قلق غير مستقر ، ومن يميل إلى الهوج والتسرع .

---

(١) Handbook of Vocational Guidance, by C.A. Oakley and others.

٤ ــ أن يكون مخلصاً فى عمله ، جادا فيه ، محبا له .

٥ ــ أن يكون طبيعيا فى سلوكه مع تلاميذه وزملائه ، غير متكلف ، سواء فى حجرة الدراسة أو فى ميادين النشاط الأخرى خارجها ، حتى لا تنكشف أخلاقه الحقيقية ويعرف تكلفه. والتلاميذ قديرون على معرفة حقيقة مدرسهم مهما أخفاها .

٦ ــ أن يكون محترماً لدينه وتقاليده القومية ، محتشماً غير مستهتر ؛ لأنه ــ كما قلنا ــ نائب عن المجتمع فى إعداد الصغار . فلا ينبغى والحال هذه أن يستخف بتقاليد هذا المجتمع ودينه . ولا يمكن أن ينشأ الطفل على احترام تقاليد قومه إلا إذا وجد مدرسه كذلك . نعم للمدرس أن يفكر ، وأن يستخدم عقله ومنطقه فى تفهم الدين والتقاليد ، وعليه أن يشرك التلاميذ فى هذا التفهم ، ولكن على ألا يكون ساخراً أو مستهتراً بما لم يعجبه أو ما لم يقتنع به .

ومتى توافرت فى المعلم الخصائص الجسمية والعقلية والخلقية السابقة فقد كملت شخصيته .

المعلم مصلح اجتماعى :

لقد مضى العهد الذى كان فيه فقيه القرية هو المعلم ، والطبيب الذى يعالج المرضى بالتمائم والأدعية ، والإمام الذى يصلى بالناس ، والخطيب الذى يعظهم من فوق المنبر ، والمأذون الذى يكتب عقود الزواج ، والمستشار فى الملمات ، والأمين على الأسرار ، والرجل الصالح الذى يتبرك به الناس. نعم مضى ذلك العهد ؛ لأن الحضارة البشرية أخذت فى التطور نحو التخصص وقيام الفرد بعمل خاص يناسبه ، كما أنها أخذت لوناً علمياً جديداً . فلم يعد الطب هواية كل راغب أو مسألة روحانية تسهل مزاولتها ، بل صار علماً له قواعد وأصول . ولم يعد نظام الزواج من البساطة بحيث يقوم به شخص كعمل إضافى على وظيفته الأصلية . وضارت الإمامة والخطابة من الوظائف التى تحتاج للتخصص والدرس والتفرغ .

ونتيجة هذا كله انصراف المعلم إلى وظيفته فقط ، وحسبانه أنها مقصورة على المدرسة . فهو يعلم التلاميذ ويوجههم ما داموا تحت سلطانه داخل جدران

المدرسة ، ولكن هذا الفهم لوظيفة المعلم قد حصرها فى أضيق الحدود ، وحرم المجتمع من كثير من المزايا التى تعود عليه لو اهتم المدرس بإصلاحه .

إن وظيفة المعلم — كما ذكرنا — هى التربية ، والمعلم مرب . والمدرسة جزء من الحياة العامة ، ووظيفتها استمرار لوظيفة المنزل . فلم يعد من الخير إذاً أن يقصر المعلم همه على ناحية التعليم فقط داخل ميدان المدرسة ، بل لا بد له أن يساهم بنصيب اجتماعى فى المجتمع الذى به المدرسة قرية كان أم مدينة .

والمعلم من أرقى سكان القرية — أو المدينة — ثقافة ، وأكثرهم بصراً بالأمور . وهو يستطيع الاشتراك فى نواحى الإصلاح بالقرية ، ويستطيع التوجيه ، وأن يكون مصدراً للقيادة . فمن الإصلاحات التى يمكن أن يقوم بها ما يأتى :

١ — تأسيس بعض الجمعيات الثقافية والتعاونية أو الاشتراك فى تأسيسها : كجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية المطالعة والقراءة ، وجمعية المحاضرات ، وجمعية التمثيل الشعبى ، وجمعية التعاون الزراعى ، وجمعية تحسين الصحة إلخ .

٢ — أن يحاضر سكان القرية فى الموضوعات التى تهمهم أو التى هم فى حاجة إلى الاستنارة فيها : كأن يحاضرهم فى شئون دينهم ، أو أمور النظافة والصحة ، أو الأمور الاقتصادية ، أو عند المناسبات الهامة كالمولد النبوى ، والهجرة ، والأعياد إلخ . بقدر ما يستطيع .

٣ — أن يسهل على أولياء الأمور الاتصال بالمدرسة ومعرفة حال التلاميذ ودرجة تقدمهم ، وأن يتصل بأولياء الأمور لمساعدتهم فى مشكلاتهم الاجتماعية التى تؤثر فى تقدم التلميذ .

٤ — أن يكون رسول خير وسلام بين الأفراد المتخاصمين أو الأسرات ، وأن يصلح بينهم .

٥ — أن يساعد الآباء فى توجيه أولادهم الدراسى والمهنى بالإيحاء والاقتراح ، وذلك بقدر ما تسمح به ثقافته .

٦ — أن يشعر بما يشعر به سكان القرية من مشكلات ؛ اقتصادية ، أو إدارية ، أو اجتماعية ، ويسعى معهم فى حلها .

٧ — أن يكون نموذجاً صالحاً للأخلاق الكريمة ، وأن يتجنب مواطن الشبه .

مراجع الباب السابع

1. Learning and Teaching, by Hughes and Hughes.
2. Talks to Teachers, by William James.
3. Handbook of Vocational Guidance, by Oakley & others.
4. An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, by Heyworth-Dunne.
5. Education, by Campagnac.
6. Principles and Methods of Teaching, by Welton.
7. Towards A. New Education, A Report by the N.F.F.